الظاهرة الإسلامية



د. محمد عمارة



الظاهرة الإسلامية

المختار الإسلامى
أسسها حسين عاشور عام ١٩٧٢
القاهرة ، ١٥١ شارع شهاب - المهندسين
ص ب ١٧٠٧ - القاهرة - رمز بريدى ١٥١١ - تليفاكس ٢٤٩٠٤١١ -

د. محمد عمارة

الظاهرة الإسلامية




بسم الله الرحمن الرحيم

• إسلامية المعرفة تعنى اكتشاف العلاقة بين الإسلام الدين والمعرفة الإنسانية ، والعلاقة تأتى فى العلوم الطبيعية عند توظيف حقائقها وضبط تطبيقاتها .

• المسلم حينما يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم يمارس نوعا من إسلامية المعرفة .

• المهام الحركية غلبت على الإبداع الفكرى داخل الحركات الإسلامية وقطاع كبير من المشتغلين بالفكر لايرون الآخر

• الوسطية الإسلامية مسألة تجمع عناصر الحق والعدل ، وتتسم بالعقلانية والإيمان الإسلامى وترفض كل أنواع الغلو .

• فلسفة الغرب فى تحرير المرأة تدير معركة بين الرجل وبين المرأة وأرادت للمرأة أن تكون نداً مساويا للرجل أما فلسفة الإسلام فأرادت أن تكون المرأة هى الشق المكمل والمساوى للرجل .

• الأفغانى أكد أن مسألة المستبد العادل نظرية خرافية لكن محمد عبده تحدث عن القوى العادل .

• كوثرانى لم يقرأ مشروعى الفكرى ولم يعرف عناوين كتبى ونحن امتداد متطور لفكر المدرسة الإصلاحية باعتبار أننا محكومون بالإسلام .

• الإبداع لايكون بالثورة على الموروث والقطيعة معه ، وهؤلاء الذين يروجون لهذه القطيعة أسرى لمفهوم الحداثة الغربية ويقفون أذلاء أمام أرسطو .

• نعت العلمانيين لى بالمنظر الدولى للحركة الإسلامية شرف لا أدعيه ، وهم لايقصدون منه المديح ، وانما استعداء السلطات ضدى .

• لست جزءا مما يقال عن اختراق الحياة الثقافية ، ورموز كوبنهاجن مجرد أدوات للدولة ويقفون مع إسرائيل فى خندق واحد .

• التياران القومى والإسلامى يمثلان أصالة الأمة والتيارات المتغربة امتدادات سرطانية للعدو فى قلب الواقع الإسلامى .

د . محمد عمارة

مقدمة

العمل فى حقل الفكر الإسلامى يحتاج إلى مؤهلات خاصة وأداء متميز يتناسب وعظم ومكانة الفكر الإسلامى فى عقول الأمة ، فكل من يعمل فى هذا المجال يقف على ثغرة غاية فى الأهمية ، كثيرا مايؤتى الإسلام من قبلها ، حيث تثار الاتهامات تلو الاتهامات ، ويدعى الحاقدون أنه - أى الإسلام - لايواكب المتغيرات والعلوم الحديثة كما يشكك البعض فى صلاحيته لكل زمان ومكان ، وينكر البعض الآخر كون الإسلام نفسه دستورا جاء لينظم العلاقات بين البشر فى جميع مناحى الحياة ، بل تصل الافتراءات إلى حد الزعم بأنه هضم حقوق المرأة .

هذه الاتهامات والفرى تصدر من حانقين على الإسلام لاهم لهم إلا إثارة الشبهات حوله ، ومن ثم فليس كل من أطلق عليه أنه (مفكر) أو (عالم) يستطيع أن يتصدى لهذه الدعاوى الزائفة ومن أبرز المفكرين الإسلاميين القلائل الذين لهم جهود كبيرة فى هذا المجال المفكر الإسلامى الكبير د . محمد عمارة ، الذى نعته

العلمانيون بلقب (المنظر الدولى للحركة الإسلامية) وقد أثري د . عمارة المكتبة العربية والإسلامية بما يزيد على مائة كتاب فى مختلف صنوف الفكر والمعارف والعلوم الإسلامية ، وجمع الأعمال الكاملة لعدد كبير من الأئمة والمفكرين رموز المدرسة الإصلاحية. وهو فى تقديرنا يستحق أن نطلق عليه (قاهر العلمانيين) الذين رأوا قبلتهم وخلاصهم فى قيم الغرب جميعها الحسنة والسيئة ، وبرغم ذلك فإن هؤلاء يعملون له حسابا وألف حساب كما أنه ينال احترام الجميع من أبناء الحركات الإسلامية وهو من أبناء المدرسة الوسطية المعتدلة الذين يدافعون عن الإسلام بوعى وإدراك وبصر وعلم ، وقد استمد هذه المكانة العظيمة من الأمة على عكس الكثيرين ممن خلعوا على أنفسهم لقب علماء ومفكرين ، وهم أبعد مايكونون عن ذلك ، ومن دافع حبه للإسلام يقود الآن معركة لاهوادة فيها ضد المشروع الغربى الصهيونى الاستعمارى فى كثير من كتاباته .

وقد عرف عن د . عمارة أنه وقف ضد كثير من رموز

العلمانيين مناظراً وداحضا لحججهم الواهية ، ولعل مناظرة معرض القاهرة الدولى للكتاب الشهيرة سنة ١٩٩٢ كانت دليلا قويا على عملقته فى هذا الاتجاه ، فقد رد مطاعن كبار العلمانيين (محمد أحمد خلف الله وفرج فودة) فى نحرهم ، مؤكداً أنهم يقرأون الإسلام بعيون غربية .

المختار الإسلامى

إسلامية المعرفة

•• أثير جدل واسع حول مصطلح أسلمة المعرفة .. فهل يمكن تحديد المقصود به من وجهة نظركم ؟ وما علاقة ذلك بأسلمة الواقع ؟

□ قضية إسلامية المعرفة من القضايا التى فهمت وتفهم خطأ لدى الكثيرين ، ومنهم الذين يرفعون هذا الشعار أنفسهم ، وبعض الإسلاميين ، والمثقفين والمفكرين العلمانيين ، فالبعض يتصور أن إسلامية المعرفة يجب أن تنسحب على جميع العلوم بما فيها العلوم الطبيعية كأن تكون هناك كيمياء إسلامية وجبر إسلامى وطبيعة إسلامية ، وفلك إسلامى ، وطب إسلامى وفى مقابل ذلك هناك علوم كافرة ، ومن هنا يصبح شعار إسلامية المعرفة العزلة العلمية للأمة الإسلامية عن العلم والفكر العالمى .

وهناك البعض الآخر الذى فهم إسلامية المعرفة على نحو أن نأتى بالعلوم الغربية المتمثلة فى الاجتماع والسياسة وعلم النفس والاقتصاد وغيره ، وندخل عليها بعض الآيات والأحاديث ، وبالتالى يصبح لدينا علم النفس

الإسلامى ، والاقتصاد الإسلامى ، والسياسة الإسلامية وغيرها ، برغم أن هذه العلوم هى نفسها علوم الغرب بنفس مناهجه .

وقد بدأ اهتمامى بهذه القضية حينما كانت لى علاقة بالمعهد العالمى للفكر الإسلامى حيث كانت هذه المسألة ضمن أولوياته ، وكان ينتوى إصدار مشروع فكرى يضم عددا من المداخل التى تعالج إسلامية المعرفة فى العلوم المختلفة ، بمعنى ماذا تعنى إسلامية المعرفة فى الفلسفة ؟ وماذا تعنى فى الاقتصاد ؟ وماذا تعنى فى السياسة ؟ وهكذا ، وطلب منى المعهد أن أكتب الباب التمهيدى للمشروع ،فأعددت دراسة حول مفهوم إسلامية المعرفة . ولما تعثر إتمام المشروع ، نشرت الدراسة تحت عنوان (إسلامية المعرفة) وكانت رؤيتى تتلخص فى أن الإسلام دين إلهى ، بمعنى أنه وحى سماوى ووضع إلهى ، أما المعرفة فهى كسب بشرى فى مختلف ميادين المعرفة بمعنى أن الآداب والفنون والاقتصاد والسياسة والاجتماع والعلوم الطبيعية معارف ، إذن الإنسان له معارف وإلى

جانب ذلك يوجد الإسلام (الوحى الإلهى) .

وإسلامية المعرفة فى هذا الإطار تعنى : اكتشاف العلاقة بين الإسلام الدين والمعرفة الإنسانية ، بمعنى هل هناك علاقة أم لا ؟ والإجابة أن هناك علاقة قوية بين الإسلام والمعرفة ، ونقول للذين ينكرون ذلك ويعارضون إسلامية المعرفة : لماذا قبلتم وتقبلون أن يكون هناك علم اجتماع ماركسى من منطلق أن الماركسية نظرية فلسفية ولها علاقة بعلم الاجتماع ؟ إذن لماذا لا يكون هناك علم الاجتماع الإسلامى ؟ وإذا كان هناك مايسمى بالاقتصاد السياسى الماركسى فلماذا لايكون هناك اقتصاد سياسى إسلامى ؟ وإذا كان هناك آداب وفنون ماركسية تنطلق من الفلسفة الماركسية ؟ إذن لماذا لا تكون هناك آداب وفنون إسلامية ؟ بل إنهم يقولون هناك علم اجتماع أمريكا اللاتينية ، إذن حتى الواقع له تأثير فى المعارف والعلوم ، وقياساً على ذلك وبما أن للإسلام فلسفة فى رؤية الإنسان فإن هذه الفلسفة لها انعكاس فى معارفه أى أن الإنسان فى العلوم الإنسانية يفكر ويعرف متأثرا بعاداته وتقاليده

وأعراقه وفلسفته ورؤيته للكون وعقيدته وتراثه وغيره ، إذن فالإسلام له تأثير فى معارف الإنسان المسلم الذى يعيش فى مجتمع مسلم ، ومن هنا فهناك علاقة بين الإسلام والمعارف الإنسانية لكن هذه العلاقة أحياناً تكون كبيرة وأحياناً أخرى تكون متوسطة وأحياناً تكون صغيرة .. كيف ؟

العلوم الطبيعية علوم موضوعية ومحايدة لأنها علوم المادة ، حقائقها وقوانينها ثابتة فليس هناك هندسة إسلامية وكيمياء إسلامية وجبر إسلامى وغير إسلامى ، لأن هذه الحقائق مشترك إنسانى عام فالإنسان الذى يبحث فى الطب سوف يصل إلى حقائق وهو يشرح الجسم البشرى ويحلله ، سواء كان مسلماً أم غير مسلم ، وسواء كان فى لندن أم فى باريس أم فى القاهرة ..

إذن حقائق العلوم الطبيعية لا علاقة لها بالأديان ولا الفلسفات إنما العلاقة تأتى عند توظيف هذه الحقائق وضبط تطبيقات العلم الطبيعى بأخلاقيات الإسلام ، وهذا يعنى أن تدخل الإسلام فى العلوم الطبيعية محدود ، لكن

لو ارتفعنا مرتبة سنجد أن تدخل الإسلام أكبر فى توجيه وصياغة العلوم الإنسانية ، لأنها علوم تتعلق بالنفس الإنسانية ، وهذه النفس تتشكل وتصاغ بناء على العقيدة فمقاصد السياسة مثلا كعلم إنسانى لابد أن تتأثر بالدين ، وكذلك تطبيقاتها ، لأن السياسة فى المقصود الإسلامى لايمكن أن تكون هى الميكيافلية (منظور الحضارة الغربية) ، إذن للإسلام سياسة وعلماؤنا أطلقوا عليها (السياسة الشرعية) ومن هنا فإن هناك إسلامية للمعرفة فى العلوم الإنسانية درجتها أعلى من درجتها فى العلم الطبيعى .

لكن لو ارتفعنا مرتبة أخرى فى المعارف والعلوم سنجد أن نسبة الإسلامية فى العلوم الشرعية أعلى ، لأن موضوعها الكتاب والسنة ، والنسبة تصل إلى ١٠٠٪ إذن نحن نؤمن أن هناك علاقة بين الإسلام والمعرفة لكنها تتميز بتميز حقول المعرفة فإذا كان الحقل علوما شرعيا فإن درجة الأسلمة كاملة ، وإذا كان الحقل علوما إنسانية فإن درجة الأسلمة كبيرة وإذا كان الحقل علوما طبيعية

ومحايدة فإن درجة الأسلمة تكمن فى فلسفة تطبيقات هذه العلوم .

الالتزام الإسلامى

•• مامدى نجاح مدرسة أسلمة المعرفة فى علاج الأزمة الفكرية التى تعيشها الأمة ؟

☐ إن كل من يفكرون فى إطار الإسلام معارفهم إسلامية بدرجة أو بأخرى سواء أدركوا ذلك أم لم يدركوا بمعنى أن الإنسان الذى يريد شراء كتاب أو قصة إذا كانت معاييره إسلامية فإنه سيتخير معارف إسلامية والكاتب الإسلامى عندما يريد أن يفكر أو يكتب سوف يختار موضوعات تتفق مع عقيدته فلا أظن أن كاتبا إسلاميا يكتب أدبا فاضحا ويتحدث عن العورات والدعارة وغيرها ، فهو دون أن يعى أن هناك مايسمى بإسلامية المعرفة يمارس إسلامية المعرفة ، لأن إسلامه له تأثير فى معارفه وتفكيره وتصوراته ، والمسلم حينما يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم يمارس نوعا من إسلامية المعرفة ، لأنه لايريد لمعارفه وأفكاره أن تغوص فى المحرمات ، إذن الالتزام الإسلامى يولد بشكل طبيعى معرفة إسلامية ،

أما الذين يقفون خارج هذه الدائرة ، فمرجعيتهم الفكرية وفلسفاتهم غير إسلامية أو معادية للإسلام ، فهناك كتاب يشيعون الفاحشة فيما يكتبون ، لأن مصادرهم المعرفية ومحركاتهم الفكرية تنقض القيم والضوابط الإسلامية فيقدمون معارف معادية للإيمان ومطلق التدين فضلا عن التدين بالإسلام ، ومن هنا فإن نجاح إسلامية المعرفة أو عدم نجاحها هو ثمرة للمرجعية الفكرية للذين يكتبون المعرفة وينتجونها .

الظاهرة الإسلامية

•• كيف تقومون أداء الحركة الإسلامية من الناحية الفكرية ؟

☐ دعنى أتحدث أولا عن الظاهرة الإسـلامـيـة وليس الحركة الإسلامية ، لأن الظاهرة أعم وأشمل من الحركة فما نسميـه بالظاهرة الإسـلاميـة أو اليقظة أو الصحوة تضم شرائح وفصائل متعددة ، بمعنى أن هناك مدا شعبيا متدينا ، وجماهير الأمة تبحث عن الحلال والحرام فيما تكسب وتعمل وتمارس ، وهذا القطاع يعد من أكبر شرائح الظاهرة الإسلامية المعاصرة ، وهناك شريحة العمل الخيرى والتطوعى المتمثلة فى الجمعيات الخيرية والإغاثية ، وهذه شريحة كبيرة ، وقد لا تكون شريحة سياسية أو منظمة فى حركات أو أحزاب مثلها مثل المد الشعبى المتدين ، كما أن هناك شـريحة المؤسـسات العلمـيـة الإسلامـيـة الذين يشتغلون بالفكر والثقافة الإسلامية وقطاع كبير من هذه المؤسسات أيضا ليس داخل الحركة الإسلامية ، فالجامعات الإسلامية فى مختلف أنحاء العالم الإسلامى والمؤسسات

الفكرية الإسلامية والمؤسسات البحثية وعدد كبير من المثقفين والمفكرين الذين يجتهدون فى إطار الفكر الإسلامى والرؤية الحضارية ويدخلون صراعات فكرية - قطاع كبير من هذا الفصيل أيضا غير حركى وغير حزبى ..

ثم هناك الحركات بمعنى التنظيمات الإسلامية ، وهى أيضا ليست شريحة واحدة ، لأن بها قطاعا يغلب عليه الجمود والتقليد ، وقطاعا اختار طريق العنف والغضب والرفض للواقع والاستعلاء عليه وهناك قطاع الحركات الوسطية فى التنظيمات الإسلامية والقطاع الوسطى هو القطاع الأكبر بينما شريحة الغلو والعنف محدودة ، وأيضا شريحة الجمود والتقليد محدودة وهاتان الشريحتان صوتهما عال ومزعج برغم محدوديتهما ، هذا هو تصورى لظاهرة المد الإسلامى المعاصر .

وإذا نظرنا إلى هذه الظاهرة نظرة إجمالية نجد أن دورها الفكرى ليس قليلا ، ففيه اجتهاد معقول وتجديد معقول أيضا بالرغم من أننا نطمح للأكثر ، لأن التحديات أكثر

من عطائنا الذى نقدمه ، لكن هناك جهودا فكرية طيبة قد بذلت فى العقود الأخيرة ، وأثرت المكتبة العربية والإسلامية والمشكلة أن حجم الانتفاع والاستفادة منها قد لا يكون على النحو الأفضل .

وفيما يتعلق بالحركات الإسلامية على وجه التحديد ألمح أن الجهد الحركى يغلب على نظيره الفكرى ، فالحركات نجحت نجاحا باهرا وهى موضع فرح واعتزاز من كل الغيورين على الإسلام ، لأنها تستقطب جماهير الأمة وتكاد تكون هى الأوعية الوحيدة على الساحة العربية والإسلامية العامرة بالبشر لكن يبدو أن المهام الحركية غلبت على الإبداع الفكرى داخل هذه الحركات ، وأخشى أن أقول إن الاهتمام بالجانب الفكرى داخل الحركات ليس كبيرا فهناك كثير من الشباب - وهذا مسلك غير مرض - يعيشون على مستوى الدروس والكاسيت وبعض المحاضرات والكتب التى يغلب عليها الوعظ وترقيق القلوب ، وإذا كان البناء الروحى وما يرقق القلوب أمرا مطلوبا فى عالم تقتحمه الفلسفة المادية ، إلا أن الفكر

مطلوب أيضا لكى ينير العقل ويعرفنا بالآخر ، وخاصة تيارات الفكر العالمى فنحن نريد أن نقدم الإسلام بديلا لنماذج اقتحمت علينا بيوتنا ، ومن هنا فلا نستطيع أن نجهل الآخر أو نتجاهله وإلا كيف سننتزع المبادرة من يد الآخر إذا لم نكن قادرين على فهمه ومحاورته ؟

إننى أشعر بقصور شديد فى الحركات الإسلامية فى هذا الجانب .

أضف إلى ذلك أن هناك قطاعا كبيرا من المشتغلين بالفكر فى الساحة الإسلامية ينظرون ثقافيا بعين واحدة أى يرون تراثنا ولا يرون الآخر ، وصورة العالم غير كاملة بالنسبة إليهم ومن هنا تبدو قدرتهم على الاستفادة من الآخر ضعيفة والوعى بنقاط الضعف لدى الآخر ومعرفة كيفية اقتحامه وكسره ضعيفة أيضا ، إذن الجانب الثقافى والفكرى كصناعة ثقيلة له مستويات وكل مستوياته مطلوبة فالفكر سلاح رئيسى بدونه لا يمكن للمشروع الإسلامى أن ينتصر ، والحركات الإسلامية لديها قطاع من القيادات والمستويات الشبابية المؤهلة للإبداع فى هذه

الميادين ، لأن الحركات الإسلامية الآن ليست مثلها فى القديم عبارة عن مجموعة من الطلبة ، فعقل الأمة اليوم أصبح إسلاميا والنخبة إسلامية ، فتجربة نوادى هيئات التدريس والنقابات فى مصر مثلا جمهورها إسلامى وانتخاباتها أفرزت قيادات إسلامية ، أى أن الصفوة إسلامية فى جميع القطاعات ، ولدينا كفاءات فى الحركة الإسلامية مؤهلة أن تصبح فلاسفة ومفكرين وعباقرة فى الفكر العالمى والإسلامى ، وحتى تصبح لدينا كوادر فكرية لابد من إعدادها الإعداد الجيد عبر الدراسة والحوار والصبر ، فالفكر صناعة تحتاج إلى معاناة فى تحصيلها والحوار حولها وإنضاج القضايا .. فالمذاهب تكونت بالحوار ، والإمام أبو حنيفة كان يطرح القضايا على أصحابه ويجلسون شهورا يتحاورون حولها إلى أن يصلوا إلى رأى . وخلاصة الأمر أن الفكر يصنع بالدراسة ، وقد برع الماركسيون فى هذا الجانب ، ونجحوا فى إنشاء مدارس لتكوين كوادر ومن هنا يمكن أن يجمع شباب الحركة الإسلامية فى شكل مجموعات للمدارسة والتفكير

والمناقشة وفكرة البرامج الثقافية ذات الوزن الثقيل يجب أن يكون لها مكان فى الحركات الإسلامية ، ويجب أن يكون هناك نوع من التكامل المعرفى بين جماهير الحركات الإسلامية وبين الإبداع الفكرى الإسلامى الموجود فى الساحة .

الوسطية الجامعة

•• كيف يمكن أن تستفيد الحركات الإسلامية المنظمة من نهج مدرسة الوسطية والاعتدال التى تتبنى مشروع إسلامية المعرفة ؟

□ هذا الميدان مهم جدا ، ولابد من توضيح معنى الوسطية فى الإسلام ، لأن هذه المسألة غير واضحة لدى الكثيرين فقد يفهمها البعض على أنها تميع وانعدام موقف وإمساك العصا من المنتصف أو بالمعنى الأرسطى هى فضيلة بين رذيلتين ، أو موقف بين أقصى اليمين وأقصى اليسار ولاعلاقة له بالطرفين ، وفى كتاب (معالم المنهج الإسلامى) عقدت دراسة طويلة حول موضوع الوسطية وتطبيقاتها فى الفكر والواقع الإسلامى ، وأوضحت أن هناك نظرية إسلامية متميزة أطلقت عليها (الوسطية الجامعة) التى تجمع عناصر الحق والعدل من الأقطاب المتقابلة فتكون موقفا جديدا مغايرا للقطبين المختلفين لكن المغايرة ليست تامة ، فالعقلانية الإسلامية مثلا تجمع بين العقل والنقل ، والإيمان الإسلامى يجمع بين الإيمان بعالم الغيب والإيمان بعالم الشهادة .

والوسطية الإسلامية أتصور أنها تعنى ضرورة وضوح الرؤية باعتبار ذلك خصيصة مهمة من خصائص الأمة الإسلامية والفكر الإسلامى ، بل هى منظار الرؤية وبدونه لا يمكن أن نبصر حقيقة الإسلام ، وكأنها العدسة اللامة للنظام الإسلامى والفكرية الإسلامية ، والفقه الإسلامى وتطبيقاته فقه وسطى يجمع بين الشرعية الثابتة والواقع المتغير أو يجمع بين فقه الأحكام وفقه الواقع ، ومن هنا فإن الله سبحانه وتعالى جعل وسطيتنا جعلا إلهيا :

﴿ جعلناكم أمة وسطا ﴾ ونحن لن نكون شهداء على الناس إلا إذا كانت لنا هذه الوسطية وهى ترفض كل أنواع الغلو الدينى وغير الدينى ، وترفض العنف والاستسلام ..

والوسطية ميدان من ميادين الفكر الإسلامى ، وتستطيع الحركات الإسلامية أن تهتم بها اهتماما كبيرا وقد اهتمت به مدرسة الصحوة والإحياء والتجديد الإسلامى ، كما قام عليها تراث الأفغانى ومحمد عبده ورشيد رضا .

والوسطية تزكى الأخذ من الغرب ، مع الالتزام بالأصول بينما ترفض الذين يأخذون من الغرب كاملا ، لأن هذا لون من الغلو والتطرف ، كما ترفض الذين يرفضون الغرب كاملا ، لأن هذا أيضا لون من الغلو والتطرف .

ونحن لن نستطيع أن نستغنى عن المنهاج الوسطى فى التعامل مع أية قضية من القضايا ، ومثال ذلك أن الحركات الإسلامية يجب أن تهتم بمسألة الحرية ، إذ إنها تهتم بالطاعة أكثر من الحرية ، وفى هذا الإطار كتبت دراسة بعنوان :

(من مظاهر الخلل فى الحركات الإسلامية) ، رصدت فيها مايقرب من عشرة مظاهر للخلل كان منها قضية التركيز على الطاعة وليس الحرية ، كما أن قضية الثقافة فى المجتمع الإسلامى مغبشة، وعضو الحركة الإسلامية يحتاج إلى مرحلة حضانة حتى تصبح لديه رؤية إسلامية واضحة لكن لا يجب أن يعيش طوال حياته فى هذه الحضانة ، فهناك خلل فى تثقيف الحركات الإسلامية ، إذ لابد من برنامج تثقيفى يصفى رؤية العضو من الغبش ،

لتصبح لديه قدرة على النظر والقراءة والمحاورة ، ومن هنا تكون معادلة بين الحرية والطاعة فالناس أحيانا تخلط بين الالتـزام والإلزام ، فـهناك إلزام جزء منه مطلوب حـيث يؤدى إلى التزام ، لكن هناك حرية ونقدا ،

ولذلك إذا لم تعدل الحركات الإسلامية من مناهجها فى تربيـة الأعضـاء سوف تصاب بكثير من القلاقل ، لأننا نعيش فى عالم لانستطيع فيه غلق منافذ الثقافة فإذا لم يكن هناك حوار مع الآخر ، فإن منافذ الثقافة سوف تفسد عـزلتنا ، لأنهـا مـسـتـحـيلة .. إذن لابد من الموازنة بين الطاعة والحرية ، فالدولة نفسها سلطة تفرضها فى أشياء وتقهرنا فى أشياء فى مقابل أن تنجز أشياء ، وهذا هو التعاقد الاجتماعى ، والحرية هى النسيم الذى يستنشقه الجميع ويجعل الهواء صحيا فى هذا البيت الكبير .

المرأة ظلمت أكثر

•• ماتزال المرأة فى عالمنا الإسلامى فى إطار الواقع والحركة الإسلامية بعيدة عن المشاركة السياسية واتخاذ القرار.. كيف تفسرون ذلك ؟

□ لابد أن نعترف أن جماهير الأمة ظلمت وأن المرأة ضمن هذه الجماهير ظلمت أكثر من الرجل ، برغم أن الإسلام حرر المرأة تحريرا حقيقيا ، وتجربة عصر النبوة والخلافة الراشدة تشهد على ذلك ، فقد كانت المرأة فى الجاهلية توءد وكانت تعامل على أنها من سقط المتاع ثم جاء الإسلام ليكفل لها المساواة الحقيقية مع الرجل ، فحديث النبى صلى الله عليه وسلم (النساء شقائق الرجال) يعد أسمى شعار لتحرير المرأة ، كما أن الآية القرآنية :

﴿ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف﴾ يقول بشأنها ابن عباس : هذه الآية تجعلنى أتزين لامرأتى كما تتزين لى ، والقوامة (وللرجال عليهن درجة) يقول عنها محمد عبده إنها تفرض على المرأة شيئا وتفرض على الرجل أشياء ، مسئولية وليست ديكتاتورية فهى تعنى دوام

القيام على الأسرة لأداء الواجبات كما أن الإسلام كفل لها المساواة فى التكاليف والخلق والجزاء والعقاب فى إطار خصوصية الفطرة التى فطر الله الناس عليها ، فتظل المرأة مع مساواتها بالرجل أنثى ويظل الرجل ذكرا ، أى لاتمسخ الأنوثة أو الذكورة ، كما هو حادث فى المجتمعات الغربية ، وهذا هو الفارق بين فلسفة التحرير الإسلامى للمرأة وفلسفة تحرير الغرب لها فقلسفة الغرب أرادت أن تكون هناك معركة بين الرجل وبين المرأة ، وأرادت للأخيرة أن تكون ندا مساويا للرجل ، بينما الفلسفة الإسلامية فى تحرير المرأة أرادت أن تكون المرأة هى الشق المكمل والمساوى ، ويكون هناك سعادة الاجتماع بين الشقين المتكاملين وليس الندين المتماثلين اللذين يخلقان نوعا من التنافر ، كما أن الرجل السوى لايسعده أن يكون أنثى والأنثى السوية لايسعدها أن تكون امرأة مسترجلة .

إن القرآن الكريم حينما يتحدث عن العلاقة الزوجية يطلق عليها (سكنا) وهذه اللفظة أجمل من الشعر وتنم عن الرقى فى وصف العلاقة ، كما يتجسد الرقى حينما

يتحدث عن المودة والرحمة ، والرقى حينما يتحدث عن الميثاق الغليظ .

الإمام محمد عبده - وقد كان عبقريا فى الإسلام ،كما كان عبقريا فى اللغة العربية - يتحدث عن الميثاق الغليظ فيلفت النظر إلى حقيقة مهمة وهى أن الفتاة تنشأ فى بيت والديها معززة مكرمة ، وبمجرد أن تخطب ويعقد عليها تقبل على خطيبها بشكل لا مثيل له ، وبمجرد أن تدخل بيته تفضى إليه بأسرار لاتفضى بها إلى أبيها وأمها ، وتكشف له ما لم تكشفه لأمها .. كيف تكون الزوجية علاقة طارئة ويحدث فيها هذا ؟ إنه الميثاق الغليظ هذه المعانى هى التى عبر عنها القرآن الكريم فى منتهى الرقى .

لكن للأسف الشديد فلسفة تحرير المرأة فى الإسلام تراجعت فى التاريخ الإسلامى وليس فى الدين الإسلامى كما تراجعت فى الفقه الإسلامى ، انظر ماذا صنع الفقه الإسلامى عندما تراجع ؟ لقد تحدث عن عقد الزواج فقال إنه تمليك بضع الزوجة ، هذا كلام مقزز فالإمام ابن القيم

وهو إمام عظيم ، وأنا من أكثر الناس حبا له وسعادة بفقهه واستفادة من كتبه ، إلا أننى آخذ عليه عندما يتحدث عن علاقة الزوج بالزوجة ، يقول إن المرأة تحت أسر زوجها وقهره ، كالعبد تحت أسر سيده ، هذا تعبير عن الواقع المتخلف وليس تعبيرا عن الإسلام ، ومن هنا تراجعت الصيغة الإسلامية فى تاريخنا وواقعنا ، وأثر هذا الواقع والتاريخ فى إنتاج بعض الفقهاء المحدثين ، فهناك من حرم على المرأة قيادة السيارة ! لابد من الصراحة ، فالمرأة ظلمت فى تاريخنا وواقعنا ، وهى والرجل يحتاجان إلى التحرير إلا أنها تحتاج إليه أكثر إذ حملت من القيود أكثر مما حمل الرجل .. معركتنا فى تحرير المرأة تتمثل فى رفض النموذج الغربى للتحرير ، لأن فلسفته خطأ وثمراته كارثة كلها تحلل وشذوذ وحركات مناهضة للأسرة ، هذه المعركة لابد أن تواجه شبهات العلمانيين ضد الإسلام ، وشبهات قطاع كبير من الإسلاميين أنفسهم وقد كتبت هذا فى كتاب (الإسلام والمرأة فى رأى الإمام محمد عبده) وفى أحد فصول كتاب (الإسلام والمستقبل) وتحت عنوان

(التحرير الإسلامى للمرأة) فى كتاب : (هل الإسلام هو الحل ؟) تناولت الشبهات التى يثيرها العلمانيون والشبهات التى يثيرها بعض الإسلاميين حول نقص عقل المرأة ودينها ، وميراثها وشهادتها ... إلخ .

فى جدول أعمالنا الفكرى لابد من قيادة معركة لتحرير المرأة ، وهناك إنجازات كثيرة كتبت فى الحقل الإسلامى وتستحق الدراسة ، ولعل من أبرزها ماكتبه الشيخ محمد الغزالى والمرحوم عبدالحليم أبو شقة فى كتاب (تحرير المرأة فى عصر الرسالة) وهذه منطلقات تحتاج إلى دراسة ووعى ، للعمل على وضع النموذج الإسلامى لتحرير المرأة موضع الممارسة والتطبيق .

المستبد العادل
خرافة !

•• أضاف بعض المفكرين الحرية إلى الضروريات الشرعية الخمس ، ومع ذلك نلحظ أن هامش الحرية يضيق في إطار التيارات التغييرية ، مما دعا البعض إلى مفهوم المستبد العادل .. كيف نستطيع توسيع دائرة الحرية كحق من حقوق الإنسان الفطرية في ظل أجواء من الكبت والاستبداد والفردية ؟

☐ مسألة المستبد العادل نظرية خرافية وعندما قال البعض لجمال الدين الأفغاني أنت تدعو إلى نظرية المستبد العادل ، قال إنها خرافة ، لأنه لايمكن أن يكون العادل مستبدا والعكس والذي كان يدعو إليه محمد عبده هو (القوى العادل) .. نحن ندرك أن مشكلاتنا وتخلفنا في ميدان الحرية مسألة واسعة وكبيرة ، لأن أمتنا وبلادنا خضعت للاستبداد قرونا طويلة ، وقد يكون لهذا أسباب تاريخية كالانشقاقات التي حدثت في الدولة الإسلامية وحركات استقلال الأطراف عن المركز (الخلافة الإسلامية) والخطر الخارجي واستمراره قرونا طويلة ، فالدولة

البيزنطية مثلا ظلت قرونا وحتى فتح القسطنطينية تجيش الجيوش ضد الدولة الإسلامية ، والخطر التترى كان مدمرا .. هذه المخاطر عولجت بعسكرة الدولة عبر جلب المماليك ، ولما تضخمت المؤسسة المملوكية العسكرية استولت على السلطة، وبدلا من أن تكون أداة فى يد الخلافة تحولت الأخيرة لتكون أداة فى يد المماليك وعسكرة الدولة كانت وبالا على الحرية فى المجتمع وفى كتاب (الطريق إلى اليقظة الإسلامية) كتبت عن : لماذا تخلف المسلمون ؟ ورصدت هذه الظاهرة وكيف أنه قبل عسكرة الدولة كانت هناك تيارات فكرية وحرية وحوارات واسعة فى المجتمعات الإسلامية ، حيث كانت تتم الحوارات والمناظرات فى المساجد والقصور ودور الحكمة وغيرها ، كان هناك شيعى وسنى يتناظران ويشتركان فى الوقت نفسه فى محل تجارى واحد ، مما كان يؤكد وجود سعة الصدر .

والفقهاء كانوا يؤكدون دائما أن آراءهم صواب تحتمل الخطأ وآراء غيرهم خطأ تحتمل الصواب ، والإمام الشافعى عندما ذهب للصلاة قريبا من قبر أبى حنيفة

التزم بفقه أبى حنيفة فى الصلاة أدبا واحتراما له ، وكان الفقهاء يدرسون أكثر من مذهب وكان بعض علماء الأصول الكبار يشتغلون بالفقه والقضاء وكان بعضهم قد درس الفقه على مذهب ويقضى على مذهب آخر وهناك من تتلمذ فى الفقه على غير مذهبه وكان لديه تلاميذ من مذاهب أخرى يدرسون على يديه .

لما طالت عسكرة الدولة حدثت عسكرة للمجتمع ، وضاقت القيادة السياسية صدرا بالمجتمع حيث سادت عقلية الضيق بمساحة الحرية ، ومنذ سادت العسكرة فى المجتمع الإسلامى فى العصر العباسى الثانى ، وبدءاً من المتوكل العباسى أزيحت كل تيارات الحرية فى الفكر الإسلامى ، وبدأ يظهر التيار النصوصى الذى يقف عند ظواهر النصوص ، ويقمع الآخرين ، ويعتبر التفلسف والمنطق نوعا من الزندقة ، وهذا مايعرف بتيار الرواية وليس الدراية (تيار البحث والنظر والعقل والتعقل) ومن هنا ضاقت مساحة الحرية فى الفكر الإسلامى ، وكان هذا وراء تراجع الفكر الإسلامى نفسه وهذا التراجع صحبه

نمو فى التصوف ، ولجأ الناس إلى الفكر الباطنى ..

نحن ورثنا تراثنا من استبداد الدولة وضيق الأفق والصدر فى التيار النصوصى الذى ساد فى الثقافة الإسلامية ، ثم جاءت المرحلة الاستعمارية بنموذج الحرية الغربى ، هذا النموذج أسماه عبدالله النديم بـ (الحرية البهيمية) التى تريد للفرد أن يصنع مايشاء وأن تكون كل الممارسات الشاذة حلالا مادامت بالتراضى ، وتصبح له حقوق غير مضبوطة بحقوق الله سبحانه وتعالى ، ويستطيع الفرد أن يحل الحرام ويحرم الحلال بالتراضى وهكذا فالزنا بالتراضى مشروع وبدونه غير مشروع والربا بالتراضى مشروع ، ومن ثم جاءت مفاهيم للحرية مغلوطة وغريبة عن الضوابط الإسلامية ، فأصبح العقل المسلم المعاصر محصورا بين شقى رحى :

هذا الموروث ، والحرية المغلوطة الوافدة من الغرب .. لذلك نحن نحتاج إلى جهود كبيرة فى الواقع الفكرى والحياة الفكرية لكى نقدم حقيقة موقف الإسلام من الحرية وحقيقة ضوابط الإسلام للحرية ، لأن الأخيرة فى الإسلام

ليست مجرد حق من حقوق الإنسان ، وإنما هى فريضة ، إنها حرية الإنسان الخليفة لله سبحانه وتعالى ، لكنها فى الغرب حرية الإنسان سيد الكون ، الإنسان فى الغرب هو الإله يصنع مايريد بإرادته واستطاعته وحده .. إذن هناك فى الساحة الإسلامية ، وفى بلاد المسلمين من يعتنق مفاهيم الغرب للحرية والتى تستبيح كل الضوابط والمحرمات .

ومن هنا نحن - كما قلت - فى أمس الحاجة إلى بذل كثير من الجهود الفكرية فى هذا الميدان ، وقد كتبت كتابا عن (الإسلام وحقوق الإنسان .. ضرورات لا حقوق) كان إسهاما فى الموضوع ، حيث عالجته من زاوية جديدة وأكدت أن لدينا فلسفة مختلفة عن فلسفة حقوق الإنسان فى الغرب وعندما راجعت وثائق الدولة الإسلامية فى العصر النبوى والخلافة الراشدة والدولة العباسية اطلعت على خطب الولاة وقرأت الأوامر الإدارية ، ولاحظت أن الفلسفة فى العصر الراشد كانت تقوم على مبدأ (أطيعونى ما أطعت الله ورسوله فإن عصيت الله ورسوله

فلا طاعة لى عليكم) وأما فى الدولتين العباسية والأموية فكان تركيز الخطب والأوامر الإدارية على فكرة الطاعة أكثر من فكرة الحرية . . .

وبالرغم من أن فقهنا بخير وعلماءنا ظلوا فى أحضان الأمة على مر التاريخ ، وليس فى أحضان السلطة فإن هناك من الفقهاء من أرادوا تطويع الأمة وتحجيم حريتها ، إما تقربا للسلطة وإما مراعاة للخطر الخارجى ، والأخير كان يستدعى طاعة الأمة لأولى الأمر وفى هذا الإطار رفع شعار (لاصوت يعلو على صوت المعركة) لوجود مهدد ، فصلاح الدين الأيوبى قتل السهروردى لأنه كان يثير قضايا فلسفية كانت تبلبل أفكار الناس فى ظل الخطر الصليبى ، وابن تيمية مات فى سجن المماليك ، لكنه كان يحارب معهم ، فقد تراجعت عنده قضايا الحرية والشورى أمام الخطر الماحق .. بعض العلماء أراد أن يطوع الفكر الدينى للاستبداد ، فتحدث عن الوفاء بالبيعة حتى وإن ظلمك وإن ضربك وإن رأيت منه ماتكره وهذا نوع من التزييف للفكر الإسلامى ، لأن كل الأحاديث

التى رويت فى الطاعة المطلقة كانت تتحدث عن بيعة للأمير والأمير فى المصطلح النبوى هو أمير الجيش لكن هؤلاء نقلوا الكلام إلى الولاة ، فحديث "من مات وليس فى عنقه بيعة ، فقد مات ميتة الجاهلية " هذا الحديث يتحدث عن بيعة النبى (صلى الله عليه وسلم) التى تعنى الخروج من الجاهلية إلى الإسلام وليس بيعة الأمير ، سواء كان أمير دولة أو جماعة .

لقد راجعت كل هذه الأحاديث التى تدعو إلى الطاعة المطلقة ، فوجدت أن رسول (صلى الله عليه وسلم) كان يعلم أصحابه الطاعة الواعية ، والصحابة كانوا يراجعونه وكان يأخذ بمشورتهم وينزل على رأيهم ، وهو ما حدث فى أحد والأحزاب وبدر ، والرسول كان لا يعين أميرا إلا بالمشورة ، وكان يقول : " لو كنت مؤمّرا أحدا دون مشورة المؤمنين لأمرت ابن أم عبد " (عبد الله بن مسعود) ، إذن فالمشورة ملزمة وكان يقول لأبى بكر و عمر : " ولو اجتمعتما فى مشورة ما خالفتكما " .. هذا الفكر تراجع وطوّعت بعض الأحاديث وزيفت لحساب وخدمة بعض

قيادات الأمة وحكامها المستبدين ، وقد اجتُزئت الأحاديث وفسرت لصالح الأمير ، وتحت عنوان « شبهات علماء السوء » كتبت دراسة لكى أوضح هذه المشكلة فى الفكر الإسلامى ، إن هذه القضية فى تراثنا وفى واقعنا تحتاج إلى جهد كبير لإزالة الغبار الذى علق بمفاهيم الحرية والقيود التى فرضت عليها والأخطاء المغلوطة التى طرأت عليها من الفكر الغربى .. وقد أعجبنى عندما درست عبد الله النديم وكتبت عنه دراسة الانتماء الثقافى قوله بالحرية البهيمية فى الغرب ، ثم عرف الحرية فى الإسلام بأنها « طلب الحقوق والوقوف عند الحدود » ، وهذا تعبير عظيم ودقيق وراق وواف .

إمتداد متطور

●● *زعم د. وجيه كوثرانى فى أحد مقالاته أنكم فى بعض كتاباتكم تكتفون بشرح فكر المدرسة الإصلاحية دون إبداع .. كيف ترون هذا الزعم ؟*

☐ إن شرح المدرسة الإصلاحية وتسليط الضوء عليها ضرورة .. هذا ليس اتهاما ، ولكنه فخر بكل المقاييس ولا أتصور أن قائل هذا الكلام قد قرأ المشروع الفكرى الذى قدمته ، فقد أثريت المكتبة بما يزيد على مائة كتاب ، ولا أتصور أنه يعرف عناوينها ، وهذا الرجل دافع عن نصر أبو زيد دفاعا مقيتا لا مجيدا مع أنه لم يقرأ فكر نصر أبو زيد ! ولم يقرأ ما كتبته عن نصر أبو زيد ، إنه يدافع عن العلمانية بشكل غير عادى .. أفخر بأننى خدمت المدرسة الإصلاحية أكثر مما خدمها الآخرون ، فقد أنفقت خمس سنوات من حياتى فى جمع أعمال محمد عبده ، والأخير قبل أن أقدم له هذه الخدمة لم يكن له سوى مؤلف حول الإسلام والنصرانية ورسالة التوحيد وتفسير سورة الفاتحة وجزء عم ، والآن أصبح له خمسة مجلدات تقترب

من أربعة آلاف صفحة ، لقد راجعت خلال خمس سنوات دوريات قرن كامل لأجمع هذه الأعمال وكان هناك ثمانون نصا شائعة بينه وبين الأفغانى ورشيد رضا وسعد زغلول وعبد الله النديم ولبيب إسحاق وحققت هذه النصوص وانتقدتها وأصبح الآن محمد عبده فاعلا فى العقل العربى والمسلم فهناك عشرات الرسائل الجامعية وعشرات المؤلفات التى رجع أصحابها إلى الأعمال الكاملة لمحمد عبده .

وفضلا عن الأعمال الخاصة بالإمام محمد عبده أعددت نفس الشئ عن الكواكبى والأفغانى والطهطاوى وعلى مبارك ، لقد خدمت هذه المدرسة وصنعت ذلك واعيا لأننى أدركت أننا نواجه بأناس يريدون أن يجتثوا علاقتنا بتراثنا ، وأن نبدأ من حيث انتهى الغرب ، وهناك من يريد أن نعيش فى تجارب و فكر عصر التراجع الحضارى لأمتنا ، فبوعى ومنذ منتصف الستينيات عكفت على تقديم تراث الاستنارة واليقظة والتجديد فى فكر هذه المدرسة الإسلامية ، لأننى أدركت أن الأفغانى أستاذ

محمد عبده ، ومحمد عبده أستاذ رشيد رضا ، ورشيد رضا أستاذ حسن البنا .

ولى دراسة عن الثوابت والمتغيرات فى فكر اليقظة الإسلامية الحديثة ، لأن الناس يتصورون أنهم كانوا يتراجعون ، وأن محمد عبده تخلف عن الأفغانى ، ورشيد رضا تخلف عن محمد عبده ، نحن امتداد متطور لهذه المدرسة ولسنا نسخة من محمد عبده برغم عظمة هذه المدرسة .

أذلاء أمام أرسطو

●● كوثرانى يقصد أنك لست مبدعا فى تعرضك لفكر هذه المدرسة ؟

□ نحن نفهم الابداع على أنه ليس الثورة على الموروث والقطيعة المعرفية معه ، الذين يدعون هذا الكلام هم أسرى لمفهوم الحداثة الغربى الذى يقاطع الموروث ، أما إبداعنا فلا يقاطع موروثنا ، لأننا محكومون بضوابط الشرع ، فليس هناك كتاب أثر فى كالقرآن الكريم ، وليس هناك نموذج ومثل أعلى مثل الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولكن هل نحن نعيش قبل أربعة عشر قرنا ، نحن امتداد متطور لتجارب السلف ، ومن منا لايستصغر نفسه بجوار عمر بن الخطاب وعمر بن العزيز والشافعى وأبى حنيفة ، لقد قرأت كتابا عن الشافعى احتوى كلاما غير لائق به على الإطلاق ، ونفس الحال عن الشاطبى ، فى حين لو قرأنا رسالة الشافعى نشعر أننا أمام فنان يصوغ العبارة بدقة ، فضلا عن العمق الفكرى الذى يشعرنا بأنه عملاق فى هذا التراث ، ونفس الأمر ينسحب

على الشاطبى .

وهؤلاء الذين يسيئون إلى أئمتنا يقفون أذلاء أمام أرسطو وأفلاطون والمفكرين الغربيين ، لا يفتأون يلوكون أسماء مفكرى الغرب ، وبعد ذلك يعيبوننا بأننا نحترم فكر المدرسة الإصلاحية ، والله هذا شرف أرجو أن يكون لنا فيه نصيب .

المدرسة الإصلاحية

•• لماذا تنظر دائما برؤية إيجابية إلى تراث المدرسة الإسلامية برغم السلبيات الموجودة لديها ، وخاصة الفكر التوفيقى والردة عن الثورة عند محمد عبده وضعف الجانب الفكرى والثقافى عند الأفغانى؟

❑ هذه الاتهامات تحتاج إلى مراجعة فقد انتقدت الفكر السياسى عند محمد عبده برغم أننى أعتبره المهندس فى هذه المدرسة ورأيى « أن الجانب السلبى أثمر ثمرة إيجابية فعندما طلق السياسة تفرغ للفكر فأنجز مالم يستطع أن ينجزه الأفغانى ، أما الأفغانى فقد أنجز فى السياسة ما لم يستطع محمد عبده أن ينجزه ، وقد أخذت على محمد عبده أنه أقام تناقضا بين الأمرين ، بينما نحن نحتاج إلى الأمرين معا ، أى نحتاج إلى من يكون راهبا فى محراب الفكر وراهبا فى محراب السياسة ، لأن هذا يكمل ذلك ، ولايتناقض معه . ولم يعجبنى موقف محمد عبده من مصطفى كامل حيث كان يعتبره مهيجا وصاحب أفكار عصبية ، فقد كنا نحتاج إلى من يوقظ الأمة بعد كارثة الاحتلال ، ونحتاج إلى محمد عبده الذى يفسر

القرآن ويبدع فى العقلانية ،أرى أن هذه الرموز كانت مكملة لبعضها البعض ، فالأفغانى أوقد الشرارة حيث كان عقلا كبيرا وأنا الآن أقف أمام نصوصه لأكتشف فيها الجديد ، فهو رائد هذه المدرسة ومحمد عبده هو أستاذ التلاميذ ، ورشيد رضا كان إماما ، فحمل فكر هذه المدرسة وفكر الإحياء والتجديد أربعين عاما فى مدرسة المنار التى كانت أوسع مدارس الإصلاح الإسلامى حيث جابت الشرق والغرب ، أما حسن البنا فقد نقل القضية إلى الأمة لما عمت بلوى الاحتلال وقد عقدت دراسة عن حسن البنا ضمن كتاب (الصحوة الإسلامية والتحدى الحضارى) أوضحت فيها أنه لما عمت بلوى الاستعمار وبعد سقوط الخلافة الإسلامية كان لابد من إشراك الأمة ، وهذا هو إنجاز البنا ...

هذه مدرسة متكاملة كما قلت ، كل منها يضيف مايواكب مستجدات عصره ، حسن البنا التحم بالجماهير ومحمد عبده ارتبط بالإبداع الفكرى ، ورشيد رضا إلى جانب أنه حمل الفكر إلى العالم كانت لديه قدرة التوثيق

فمحمد عبده كان لا يهتم بالمأثورات بل كان يطرح الفكر والتجديد العقلانى ورشيد رضا يضبط هذه الرؤى بالمأثورات وهو نفس ماحدث مع الغزالى والقرضاوى ، فالغزالى كان يطلق القذائف الفكرية والقرضاوى يدعم هذه القذائف بالأحاديث والآيات والمأثورات .

ومن قال إن الأفغانى كان لديه ضعف فى الثقافة ؟ الأفغانى وهو فى سن الثامنة عشرة كان يعرف العربية والفارسية والفقه واللغة والنحو والصرف والحديث والتفسير والمنطق والطب والتشريح والفلك .

•• *قلت له مقاطعا : ربما لانقصد ثقافته الخاصة ، ولكن نقصد أنه ليس له موروث ثقافى ؟*

□ لقد حدث معه ماحدث مع محمد عبده ، حيث كان له فى المكتبة رسالة الرد على الدهريين فقط ، فقمت بجمع أعماله وبصدد استكمالها فى أربعة مجلدات وأصدرت منهما مجلدين ، وكان هناك كتاب منسوب لمحمد عبده وفى تحقيقى له نسبته إلى الأفغانى ، الأفغانى كان يملى ولا يكتب ، الأفغانى كان صانع رجال

أكثر منه مؤلف كتب . وموقف محمد عبده من الثورة موقف قديم ، حيث كان يرى أن الإصلاح يبدأ بإصلاح مناهج الفكر والتربية وصنع العقول وإصلاح المؤسسات التي تصنع العقل ، وكان همه إصلاح الأزهر والمساجد والأوقاف والقضاء ، ولكن الاستعمار لم يمكنه من هذا .. كل أعلام الفكر الحديث تلاميذ هذه المدرسة ، هذا فضلا عن عطائها عند حسن البنا والحركات الإسلامية .

●● *بعض العلمانيين يعتبرونكم المنظر الدولى للحركة الإسلامية .. كيف ترون هذا القول ؟*

❑ هذا شرف لا أدعيه ، إلا أنها قولة حق أريد بها باطل حيث يقولون هذا لا بدافع المديح ، وإنما بدافع توجيه الاتهامات واستعداء السلطات لكن نحن لانخشى إلا الله سبحانه وتعالى ، وأدعو الله دائما أن يعيننى على نصرة هذا الدين ، وأن يجعلنى لسان صدق ، وأن يؤيدنى بالحق ويؤيد الحق بى ، فإذا استجاب الله دعائى وجعل ما أقوم به إسهاماً فى هذا الميدان ، فهذا ما أتقرب به إلى الله سبحانه وتعالى .

فريق كوبنهاجن

●● أثيرت مؤخرا مسألة التطبيع مع الكيان الصهيونى وقيام (فريق كوبنهاجن) بهذا الدور .. كيف ينظر د . عمارة إلى هذا ؟

☐ لست جزءا مما يقال عن اختراق الحياة الثقافية فى مصر أو غيرها ، لأننى أنظر إلى رموز كوبنهاجن على أنهم أدوات للدولة فى هذا الموضوع ، هذه الرموز قريبة من صناع القرار ، ولا يجرؤ أحد أن يتحرك فى هذا الميدان إلا أن يكون مدفوعا من أجهزة الدولة ، الدولة لا تريد أن تلزم الأمة بالتطبيع مع إسرائيل ولا تحمل مؤسسات الأمة الرسمية عبء الحوار والتطبيع مع العدو ، لكنها أحيانا تحتاج إلى من يجس النبض .. الحكومة تستخدم بعض الأسماء التى لها ميول فى هذا الميدان ، وهؤلاء يقفون مع إسرائيل فى خندق واحد ضد التيار الإسلامى ، وهم جزء من حاشية المفاوض ، ولا يمثلون الأمة ولا يمثلون الحركة الثقافية ، ولا الحركة السياسية .

الإسلام ... أبو العروبة

•• فى تقديركم ،مامدى نجاح مسألة الحوار القومى الإسلامى ؟ وهل يمكن تجاوز ميراث العداء الطويل ؟

□ نحن نعيش فى عصر يختلف عن نظيره الماضى ، والأجيال الحالية لم تشارك فيما حدث ، وقضية الصراعات بين التيارين القومى والإسلامى تحتاج إلى مراجعة ، نحن الآن أمام مخاطر تهدد وجودنا جميعا ، ورأيى أن التيارين القومى والإسلامى كلاهما يمثلان أصالة الأمة ، أما التيارات المتغربة ، فهى امتدادات سرطانية للعدو فى قلب الواقع الإسلامى ، أما التيار العربى الذى لم يتغير ولم ترشح عليه الماركسية فهو مع التيار الإسلامى الوسطى المعتدل فى خندق واحد ، وينبغى أن يكونا تيارا واحدا ، لأن العروبة كثقافة ولغة هى لسان الإسلام ، والتمييز بين العُرُوبيين والإسلاميين حدث فى ظل الغزوة الاستعمارية ، رشيد رضا كان عربيا وإسلاميا محمد عبده يقول : (كان الدين عربيا ، ثم أصبح العلم عربيا) الشاطبى يقول (الشريعة عربية) وابن باديس يقول :

(شعب الجزائر مسلم

وإلى العروبة ينتسب)

إذن العروبة لسان الإسلام ، وهذا هو نموذج مصر وشمال إفريقيا ، الذى لايفرق بين العروبة والإسلام .

لكن التفريق جاء من بعض مدارس الشوام وقد كتبت دراسة فى فكر ميشيل عفلق وتوصلت إلى أشياء مدهشة فى مقام الإسلام ، ولذلك أتصور أن نتطلع مستقبلا إلى تلاحم التيارين مرة أخرى ، ونحن نرفض العنصرية لأنها لا علاقة لها بقوميتنا ولا بإسلامنا .. والعلاقة بين العروبة كلسان ولغة وبين الإسلام كدين علاقة عضوية ، فلا يمكن أن يفهم الإسلام إلا بالعربية ، والعرب لم يكن لهم قيمة فى التاريخ إلا بالإسلام ، كما أن القدماء يقولون : (العرب وعاء الإسلام) والإسلام روح العرب ، وقد قال ميشيل عفلق إن العروبة ولدت ولادة جديدة بظهور الإسلام ، والإسلام هو أبو العروبة .

●● *لكن تردد أن ميشيل عفلق كان معاديا للإسلام، وإن أظهر غير ذلك ؟*

□ مسألة عداوة ميشيل عفلق للإسلام تحتاج إلى مراجعة فقد قال عفلق : أحببت الإسلام لحبى للأمة العربية فلما اقتربت من الإسلام أصبح الحب للإسلام وإذا كنت أعجب من المسلم الذى لا يحب العربى ، فأنا أشد عجبا من العربى الذى لا يحب الإسلام . وحديثه هنا عن الأقليات غير المسلمة ، إذ يدعوها إلى أن تعتبر أن الإسلام هو أعظم شىء فى تاريخها وتراثها وقوميتها وبطولتها هذا وقد رصدت تطوره الفكرى منذ الثلاثينيات وحتى وفاته فقد تطور فى هذا الميدان تطورا كبيرا ، وليس هذا خاصا بميشيل عفلق وحده فحتى عبدالناصر لم يكن علمانيا ولاتوجد دولة عربية علمانية بمعنى فصل الدين عن الدولة فكلام عبدالناصر عن الدين بعد ٦٧ له شأن وقد كتبت هذا ردا على لويس عوض عندما قال إن مصر دولة علمانية من محمد على وحتى عبدالناصر ، فأكدت أن هذا كلام غير صحيح فالاستعمار هو الذى

فرض القانون الوضعي في مصر .. ومن هنا فالتيار القومي في حاجة إلى أن يقرأ أدبيات التيار الإسلامي والأخير أيضا يحتاج إلى قراءة أدبيات التيار القومي ، وهذا من نقاط الضعف في حياتنا السياسية والفكرية ، نحن نعاني حالة طائفية ثقافية ، فهناك من لا يقرأ الكتاب لمجرد معرفته بأن الناشر ليس من تيار يروق له فقد كانت صورة ميشيل عفلق في ذهني ليست فقط سلبية ، لكنها كانت صورة لجاسوس ، وكتبت على غلاف الكتاب أن المؤلف قبل كتابة هذا الكلام لم يكن يتصور أن هذا فكر ميشيل عفلق والحقيقة أنني لو وجدت كافرا يتحدث عن الإسلام بشيء من الإنصاف لابد أن أفرح ، فما بالنا بمن يتحدث عنه بحب شديد ، وصل إلى أنه أصبح يفسر بعض الآيات القرآنية ويقول إن الإسلام يحدث له هزة روحية ، ومن هنا فإن نصيحتي إلى القوميين والإسلاميين أنه إذا كان هذا هو مقام الإسلام في فكر أعظم منظر قومي ، فلابد من إعادة النظر في موقفكم من الإسلام ، وأقول للإسلاميين إذا كان هذا هو

مقام الإسلام فى فكر أعظم منظر قومى ، فلابد من إعادة النظر فى المشروع الفكرى القومى ، فالأفكار المسبقة خطرة ، والأحكام الصادرة دون قراءة خطرة ، لأنها أحيانا تحرمنا من سند نحن فى حاجة إليه ، نحن فى الحوار نستشهد على عظمة الشريعة الإسلامية بكلام الخواجات فإذا كانت هذه شهادة من ميشيل عفلق فهل نهدرها ؟ وهل إذا قيل إنه اعتنق الإسلام نرفض ذلك ؟

●● *أشرتم إلى أن عفلق اعتنق الإسلام ، فهل هذه المسألة موثقة وثابتة ؟*

□ حينما مات أعلن فى بيان القيادة القومية أنه اعتنق الإسلام دينا ، لكنه آثر هو ورفاقه ألا يذاع هذا حتى لا يساء تفسيره ، وقد أكد ذلك كل الذين كانوا يلتقونه فقد التقته الكاتبة الإسلامية صافى ناز كاظم حينما كانت فى بغداد ، وأكد لها أنه مسلم وليس فى بيته شىء غير مسلم سوى أكلة لبنانية تسمى (الكيبيه) حتى إنه أطلق على ابنه اسم محمد ، وقد التقيت إلياس

فرح أحد قيادات حزب البعث وأقرب الناس لعفلق وهو مسيحى ، وقلت له لقد توقفت أمام نص قاله عفلق فى سنة ١٩٤٣ فى خطبة إبان ذكرى النبى صلى الله عليه وسلم بجامعة دمشق ، قال فيها :

(أنا حريص على الإيمان حرصا شديدا لأننى اكتسبته اكتسابا ولا أرثه تقليدا) فما تفسير ذلك هل كان ملحدا ثم دخل المسيحية ؟

قال : إنه الإسلام ، وسجلت أن فرح كان يقول ذلك وهو سعيد ، فقد قال رفيق دربه إنه أسلم ، وقد تتبعت موقف عفلق من الإسلام ، فوجدت أنه كان مع الإسلام منذ اللحظة الأولى ، ودرس الماركسية وقال بصراحة إن الإسلام هو الذى جعلنا قوميين وليس ماركسيين .

جيش واحد

●● *إلى أى مدى يقترب أو يبتعد د . عمارة عن فكر جماعة الإخوان المسلمين ؟*

❑ كما أشرت فإن الظاهرة الإسلامية هى ظاهرة واحدة مع تعدد الثغرات التى يقف عليها كل فريق ، فأنا من الذين تفرغوا للثغرة الفكرية فى إطار المنهج الوسطى ، والإخوان فى طليعة الحركات ذات المنهج الوسطى ، فلا أشعر أن بينى وبين الإخوان أية تناقضات ، نحن جميعا جيش واحد ، لكننا كتائب على ثغرات متعددة .

●● *تواجه اللغة العربية حصارا إعلاميا وتعليميا برغم محوريتها على المستويين القومى والإسلامى ما علاقة ذلك بالغزو الفكرى ؟*

❑ فيما يتعلق باللغة العربية فإنها لسان الإسلام ، وذاتية الأمة وهويتها تتكون من دينها ولغتها وتاريخها ، والحصار الذى يواجه هذه الهوية بعناصرها الثلاثة له علاقة بالغزو الفكرى ، ونحن فى دفاعنا عن هويتنا لابد من مواجهة هذا الغزو الفكرى ، وفى مواجهته لابد من

الوعى كى نميز بين الإنسان الغربى والمشروع الغربى ، فالإنسان الغربى لا مشكلة لنا معه ، وكذلك العلم الغربى مشكلتنا مع المشروع الغربى والقيم الغربية التى تجتاح القيم الإسلامية ، وأتصور أن معاركنا الداخلية وثيقة الصلة بالاجتياح الغربى ، حتى عندما نحارب الاستبداد الداخلى نجده محروسا بالغرب ، أى أن الغرب يصنع هذه الأنظمة .

الأمة هى التى تعترف

•• *برزت فى الفترة الأخيرة أسماء يسبقها لقب (مفكر إسلامى) بينما ينأى مضمون فكر هذه الأسماء تماما عن الإسلام، فى تقديركم من هو المفكر أو العالم الحقيقى؟*

☐ كل أمة على مر تاريخها تمنح العلماء مرتبة العلم فالعلم ليس بالشهادات ولا الألقاب، والمفكر هو من تعترف به الأمة، والذين بفرضون على الأمة عبر سطوة الإعلام تموت هذه الهالة مع موتهم، لويس عوض مثلا كان مفروضا على الأمة، وعلى صفحات الصحف، وعندما مرض حملته الطائرات إلى باريس ليعالج، وعندما توفى حدثت مناحة، ومع ذلك دخل مشروعه الفكرى معه المقبرة، وعلى العكس: سيد قطب قتلته الدولة فتفرد فى أن يكون أكثر الناس انتشارا وأكثرهم قدرة على التغيير وتجييش الجيوش فى العالم كله، فقد ضرب مشروعه الفكرى بجذوره فى الأرض.. الأمة هى التى تحدد من هو الذى يدافع عن الإسلام ويخدم فى هذا الحقل ويستحق لقب العالم أو المفكر، فقد أطلق على

العز بن عبدالسلام لقب (سلطان العلماء) فأصبح للعلم سلطان ، كما أن للدولة سلطانا ، وكان سلطان العلماء أعلى من سلطان البطل الشعبى الظاهر بيبرس فالأخير حينما نظر إلى جنازة العز بن عبدالسلام قال:

(الآن استراح عرشى واستقر) ، وفى التصوف وجدنا من يسمى (سلطان العارفين) .

فهرس الكتاب

رقم الإيداع ٩٨ / ١٤٠٤٤
977 - 220 - 152 -6

- إسلامية المعرفة
- الإلتزام الإسلامى
- الظاهرة الإسلامية
- الوسطية الجامعة
- المرأة ظُلمت أكثر
- المستبد العادل خرافة
- إمتداد متطور
- أذلاء أمام أرسطو
- المدرسة الاصلاحية
- فريق كوبنهاجن
- الإسلام أبو العروبة
- جيش واحد
- الأمة هى التى تعترف